الشاهد القرآني في العلوم العربية والإسلامية

(الأدب العربي ونقده القديم نموذجًا)

أ.د أحمد عبد المجيد خليفة الدنداوي . جامعة أم القرى بمكة المكرمة .

مقدمة البحث

يعد دراسة الشاهد القرآني في الأدب والنقد العربي من بين الدراسات الهامة التي تهتم بالقرآن الكريم وأثره على لغته وعلومه العربية والإسلامية، وتثري الإبداع الأدبي والنقدي إثراء كبيرًا ،وتضفي عليه هالة من الجمال والجلال، و الصدق الفني .

وهو رأس الشواهد التي يستعين بها أهل العربية في إبداعاتهم ومؤلفاتهم المتباينة ، ذلك لأنه الحجةَ البينة التى لا ترد ، والدليلَ القاطعَ الذي لا يُفَنَّدُ ، والبرهانَ الساطعَ الذي لايتطرق إليه شك، والشهادةَ الحقة على صحة القول التي لايشوبها الاحتمال ، فلاتسقط بالاستدلال . ولا عجب في ذلك ، فهو فيض من كلام الله الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، الكلام الذي يعلو ولا يعلى عليه ، نزل به الأمين جبريل (عليه السلام) على خير رسل الله وأعظم أنبيائه على الإطلاق سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) الصادق الأمين ، صاحب اللسان الصادق ، البين ، الفصيح ، البليغ.

وتكاد تكون الدراسات في هذا الموضوع شحيحة،وإن لم تكن نادرة . على حسب علمي . بالمقارنة بالدراسات التي تناولت الشاهد القرآني في العلوم اللغوية والنحوية ,وغيرها ،فقد أفردت لها مساحات واسعة في مؤلفات الباحثين والدارسين قديما وحديثا . وقد جاءت هذه الورقة تجيب عن جملة من الأسئلة فحواها : ما مفهوم الشاهد القرآني في الدراسات الأدبية والنقدية ؟ وما أهميته فيها ووظيفته ؟ وكيف تعاملت الداسات الأدبية والنقدية مع الشاهد القرآني ؟

وقد اتخذ البحث المنهج الوصفي والتحليلي في استقرار الآراء النقدية وشواهدها ، ومناقشتها وتحليلها تحليلا موضوعيا . وقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة ، وثلاثة مباحث: تناول المبحث الأول مفهوم الشاهد القرآني في الدراسات الأدبية والنقدية ، ثم أهميتة ووظيفته فيهما ، و تحدث المبحث الثاني عن الشاهد القرآني في الدراسات النقدية ، فأفصح عن بدايات الاستشهاد بالشاهد القرآني في المؤلفات النقدية ،ثم الحديث عن : الشاهد القرآني و النقد اللغوي ، ثم الشاهد والصورة الشعرية ، ثم الشاهد والنقد التفسيري ،ثم الشاهد وتحديد العلاقة بين الأدب والنقد.وكذا الشاهد والمفاهيم النقدية

والبلاغية ، والشاهد وتحديد أطر علوم البلاغة .وجاء المبحث الثالث يلقي الضوء على الشاهد القرآني في الإبداعات الأدبية ببشقيها : الشعري ، والنثري. فكان الحديث قي الشق الأول عن الشاهد وأثره في إبداعات الشعراء،وكيفية تناولهم له،ووظيفته. وجاء الحديث في الشق الثاني عن الشاهد والنثر الفني،فتحدث عن الشاهد في فن التوقيعات ، وفي الرسائل الأدبية ، وفي النواد الأدبية ، وفي المناظرات . كنماذج له في الإبداع النثري .ثم جاءت الخاتمة تفصح عن أهم النتائج التى توصل إليها البحث ، وأخيرا : جاءت قائمة بأهم مصادر البحث ومراجعه لتطوي آخر صفحاته .

– مفهوم الشاهد القرآني :

المقصود بالشاهد القرآني في الدراسات الأدبية والنقدية ، الآيات القرآنية التي يوردها الأديب في إبداعه أو الناقد في نقده ، للاحتجاج ، والاستدلال بها على صحة قول من الأقوال ، أو رأي من الآراء ، أو تأكيد فكرة من الأفكار ، أو لترسيخ قاعدة من القواعد التي تتصل بالإبداع الأدبي أو العمل النقدي .

. أهمية الشاهد القرآني ووظيفته في الدراسات الأدبية والنقدية :

تكمن أهمية الشاهد القرآني ووظيفته في الدراسات الأدبية والنقدية في الآتي :

١ . يعد الشاهد القرآني أبلغ الشواهد ، وأوثق النصوص التي عرفتها العربية على الإطلاق،لذا برزت أهميته في مجال العلوم العربية المختلفة من : لغة ونحو وأدب وبلاغة ونقد وغيرها . فهو فيض من القرآن الكريم الذي جاء بلغة العرب ،وخاطبهم بها، وجرى على أساليبهم وتحداهم فيها،فعجزو أن يأتو بمثله ،وظل حجة عليهم إلى أبد الآبدين.

٢ . قدرته العالية على تحقيق الإقناع ، وإقامة الحجة على صحة الفكرة التي قد يتطرقها الشكوك ، أو تنتابها الظنون ، " فهو البينة التي لايدخلها الباطل ولا تساور من امتلأ صدرة بآياته المخاوف ، وهو الحجة التي لا تُرَدُّ ، والدليل الذي لا يفند ، والبرهان ا لذي لا يرفض ،والقول الذي لايُنقَض" ([1])

٣ . ترسيخ المعنى في ذهن المتلقي وتنشطه ، بإعمال العقل ، وإجالة الفكر ، وإزالة الريب ، ورفع نسبة التصديق بالمسألة والحكم عليها ، واكسابها صفة الحتمية والاطراد .

٤ . قدرة الشاهد القرآني الكبيرة على تحقيق أغراضه ، من خلال شعور المتلقي الوجداني بذلك ، فضلا عن الإيمان بتصديق النص .([2]) ،وعدم الارتياب والشك فيه لأنه صادر من رب العالمين.

٥ . إستثمار النقاد للشاهد في بعض القضايا الأدبية والنقدية ،في وضع المعايير النقدية للحكم على الإبداع الأدبي ، وتناول بعض المسائل الهامة التي تتصل بهذا الإبداع ونقده مثل : الموازنات والمفاضلات ، أغاليط الشعراء، المبالغة والغلو ...إلخ.

٦ . يكتسب الشاهد القرآني في نظر البلاغيين والنقاد العرب القدامى قدرة إضافية لا تتوفر في سائر الشواهد ، وهي قيمته البيانية الإعجازية عند العرب ، وقدرته الإحتجاجية ، ف " من شرف الاستشهاد بالكتاب العزيز إقامة الحجة وقطع النزاع وإرغام الخصم ... وأن الآية الواحدة المستشهد بها تقوم في بلوغ الغرض ، وتوفية المقاصد ، ما لا تقوم به الكتب المطولة والأدلة القاطعة ([3]) " . وقد كان أهل العربية الاوائل والمتأخون ينظرون إلى القرآن الكريم إلى أنه " رأس الشواهد التى يستعين بها علماء العربية " ([4]) .

---

[1]- راجع:. ابن الخشاب (حياته ونحوه) .: الدكتور عبود الساهي ، ص١٥٢.مطبعة الجامعة .

[2]- راجع : اللغة العربية ، أصولها النفسية وطرق تدريسها ص ٣٢.

[3] - راجع : نهاية الأرب في فنون الأدب ، للنويري ، السفر السابع، الباب الرابع عشر ،ص٢٩ وما بعدها ، طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، سنة ١٩٢٩م .

[4]-راجع:. ابن الخشاب : مصدر سابق ،ص١٥٢.

وعلى الرغم من كل ذلك كان الشاهد القرآني أقل استشهادا به من الشعر العربي القديم في الدراسات اللغوية والأدبية والبلاغية والنقدية ربما يرجع ذلك إلى :

(أ) التحرز الديني كما فسره الدكتور محمد عيد ، إذ قال : " إن الذي يفسر كل ذلك سبب واحد هو التحرز الديني " ([5]). وأن كنا نرى أن التحرز الديني ليس مسوغا لذلك، ولا يقره البحث العلمي ، فقد رأينا النحاة اعتمدوا اعتمادا رئيسا على الشاهد القرآني إلى جانب الشعر العربي القديم في تقعيد قواعدهم ، ولو أنهم تحرزوا من ذلك لما استشهدوا به .

(ب) وربما يرجع السبب لكونه معجزا ، أن القرآن الكريم جاء متحديا للشعر والشعراء فكان من الأنسب . في نظر الدارسين . ان يعتمدوا في دراستهم على الشعر خوفا ان يستأثر القرآن بكامل الأهمية ، ويترك الشعر بلا دراسة ولا اهتمام ، وهذا ما لم يرده العلماء ، لأن في هذا الأمر انتقاصا من أهمية الشعر الذي جاء القرآن متحديا له .

(ج) وربما يرجع ذلك لكثرة الشعر وسرعة تناوله وحفظه وتغلغله في النفوس أثر واضح في زيادة الاستشهاد به على الاستشهاد بالقرآن الكريم .

(د) ربما يرجع . أيضا . إلى أن القضايا التي يستحضر من أجلها الشاهد هي قضايا نقدية تهتم بالشعر بالدرجة الأولى ، ولعل ذلك يعود . أيضا . إلى مسيرة الرجوع إلى القرآن الكريم والاستشهاد بآياته قد لايعطي مؤشرا على ما لدى المستشهد من جديد.([6]) والنقاد حين يوردون الشاهد القرآني لا يكتفون . أحيانا . بإيراده فقط ، كدليل قاطع على صحة آرائهم النقدية والبلاغية وتقويتها وتأكيدها ،واستقرارها في قاع النفوس ، إنما يقومون أحيانا بشرح الشاهد وتوضيحه كي تعم الفائدة، وتحقق الغاية من إيراده، إذ إن للشاهد القرآني حضور متميز في عملية الاحتجاج و الإقناع .

---

[5]- راجع الرواية والاستشهاد في اللغة ، ص١٢٦. ١٢٧

٦- راجع: الشاهد في النقد العربي القديم إلى نهاية القرن السابع الهجري " دراسة وصفية " علاء مهدي عبد الجواد النفاخ ، ص ٢١-٢٢ (رسالة ماجستير) بكلية الآداب جامعة الكوفة .

أولا . الشاهد القرآني والدراسات النقدية

١- بدايات الاستشهاد بالشاهد القرآني في كتب النقد:

يعد ابن سلامة الجمحي (ت٢٣١هـ) أول ناقد استخدم الشاهد القرآني في مؤلفه النقدي: " طبقات فحول الشعراء " كحجة قوية على صحة ما ذهب إليه في نقد النصوص التي أوردها في كتابه . وذلك عند تناوله لقضية الانتحال في الشعر الجاهلي . إذ لاحظ أن بعض الشعر الجاهلي الذي يتناقله الرواة مصنوع ، فانتقدهم ، وكان من بينهم الذين وجه النقد إليهم محمدُ ابن إسحق صاحب " السيرة النبوية " ، إذ رأى أنه هجن الشعر وأفسده ،وأورد في كتابه أشعارا لإناس لم يقولوا الشعر قط ، بل أورد أشعارا ترجع إلى قوم عاد وثمود التي أبادها الله. (٧) . ورغم أن ابن إسحق نفسه أعترف بذلك ، واعتذر بعدم معرفته بالشعر، فقال :" إنه لاعلم له بالشعر" إلا أن ابن سلام لم يقبل إعتذاره ، ونقده.، ونفي هذا الشعر ورفضه ، مبينا الأدلة التي تستدعي رفضه من بينها الشاهد القرآني ،الذي تحدث عن الأمم السابقة وانقطاع دابر بعضها ، فالله عز وجل يقول : " (وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الأُولَى وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى " [النجم أية ٥٠-٥٢]ويقول في عاد : " فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ " [الحاقة أية :٨].

ويتسائل ابن سلام ، إذا كان الله قد أهلك قوم عاد وثمود جميعا فمن إذن حمل هذا الشعر ؟ ومن أداه منذ آلاف السنين .(٨) . ثم أخذ يحتل الشاهد القرآني بعد ذلك مكانة مرموقة في كتابات النقاد والبلاغيين ومؤلفاتهم .

٢ – الشاهد القرآني وأثره في النقد :

٧- راجع : طبقات فحول الشعراء : محمد بن سلام الجمحي (ت٢٣١هـ) :ج١ص٧. طبعة مكتبة المدني بالقاهرة ، تحقيق محمود محمد شاكر، سنة ١٩٩٢م].

٨- طبقات فحول الشعراء : ابن سلام الجمحي ج١ص٨. طبعة مكتبة المدني بالقاهرة ، تحقيق محمود محمد شاكر، سنة ١٩٩٢م .

اعتمد بعض النقاد الأوائل على الشاهد القرآني في تقويم العمل الفني ،ووضع بعض المعايير النقدية باعتباره المثال الذي يجب أن يحتذى ،والحجة القاطعة ، والمعيار الساطع على صحة القول في الحكم على بعض المسائل النقدية، نذكر منها:

(أ) المعيار اللغوي:

. كان الشاهد القرآني له حضورٌ قويٌ في نقد الشعر وتقويمه فنيا ، وفي توجيه الشاعر إلى تحري الدقة في استخدامه الألفاظ ، التي يجب أن يحسن اختيارها لتؤدي المعنى المراد ،و تذكر كتب الأدب والنقد بعض الأدلة التي تؤكد ذلك. نذكر منها قول ذي الرُّمَّة عندما قدم الكوفة ، فوقف ينشد الناس ، فكان مما قال : **إذا غيَّرَ النَّأيُ المحبينَ لم يَكَد رسيسُ الهوى مِن حُبِّ مَيَّةَ يَبْرحُ**

فناداه ابن شبرمة قائلا : أراه قد برح ! فأخذ ذو الرمة يفكر حتى قال:

إذا غيَّرَ النأيُ المحبينَ لم يَجَد رَسيسُ الهوى مِنْ حبِّ ميَّةَ يبرحُ

يقول: عَنْبَسَة الفيل : فأخبرت أبي بما كان ، فقال : أخطأ ابن شُبْرُمَة ، وأخطأ ذو الرُّمَّة حين غير شعره ، إنما هذا كقوله تعالى : " ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ..(٤٠) " [النور : ٤٠] فلا يراها ولا يكاد .([9]) فقد استخدم أبو عَنْبَسَة الفيل الشاهد القرآني دليلا قاطعا على صحة استخدام ابن الرومة لفظة (يَكَد) وخطأه عندما غيرها بكلمة " لم يجد " وخطأ ابن شبرمة عندما خطأ ابن الرمة على استخدامه لها ، معتمدا على الشاهد القرآني وهو المثال الأمثل في استخدامه لها .

(ب) الشاهد والصورة الشعرية :

استند بعض النقاد على الشاهد القرآني في الحكم على جودة الصوة الشعرية أورداءتها ،نذكر من ذلك عندما قال أبو تمام :

لا تَسْقِني مَاءَ المَلامِ فإنَّني صبٌّ قد اسْتعذَبْتُ مَاء بُكائِي

9- راجع : دلائل الإعجاز : الجرجاني ، ص ١٩٨ ، والطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، ليحيى بن حمزة بن علي العلوي اليمني (ت٧٤٩هـ) : ص٢٩٧ ، طبعة ١ ، دار المكتبة العلمية بلبنان ، سنة ١٩٩٥م . والرسيس : الثابت .

فعابه أحد النقاد المعاصرين له ، لقبح الإستعارة في جعله للملام ماء ، لأنه لم يستسغ أن يشبه أبو تمام الملام بالماء ، فأرسل إليه بزجاجة فارغة ، وطلب إليه أن يبعث له فيها بشي من ماء الملام ، فأرسل إليه أبو تمام أن يبعث له بريشة من جناح الذل ، وهو يتكئ في دفاعه على الشاهد القرآني :" وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا"[الإسراء : ٢٣].

.كذلك دافع عنه الآمدي مؤكدا صحة قول أبي تمام وصوابه في استعارته ،و مخطئا النقاد معتمدا على الشاهد القرآني ، فيقول : " هذا ليس بعيب عندي ، لأنه لما أراد أن يقول : قد استعذبت ماء بكائي ، جعل للملام ماء ليقابل ماء بماء (مشاكلة) كقوله تعالى : " وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا "[النحل] ، فالثانية ليست بسيئة ، وإنما هي جزاء عن السيئة .([١٠])

(ج) الشاهد القرآني والنقد التفسيرى :

استخدم بعض النقاد الشاهد القرآني في تفسير المفردة الشعرية الغامضة التي ترد في قصائد الشعراء على نحو ما فعله أبو العباس محمد بن يزيد المبرد(ت ٢٨٥هـ) في كتابه الكامل، فقد استخدم الشاهد القرآني في مواضع كثيرة منه ، دليلا على تفسير بعض الكلمات الغريبة ، أو المعاني المستغلقة التي في الأبيات التي أوردها في مؤلفه الكامل ، وقد بلغت الشواهد القرآنية المستشهد بها على معاني المفردات المعجمية في كتابه هذا نحو مائة وأربعا وعشرين مفردة ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر قوله : " ومما يستحسن لفظه ويستغرب معناه ويحمد اختصاره قول أعرابي من بني كلاب:

فَمَنْ يَكُ لمْ يَغْرَضْ فإني وناقتي بِحَجْرٍ إلى أهل الحمَى غَرضانِ

تَحِنُّ فتبدِي ما بها مِنْ صَبَابَةٍ وَأُخْفِي الذي لولا الأَسَى لَقَضَانِي

---

[١٠]- راجع : الآمدي ، الموازنة ج١ (باب ما في قبيح شعر أبي تمام من إستعارات) ص٦٠.

قال المبرد : وأما قوله : لقَضَاني " فإنما يريد : لقضى عليَّ الموتَ ، كما قال الله عز وجل " فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ " [سبأ :١٤] فالموتُ في النية ، وهو معلوم بمنزلة ما نَطَقْتَ به ، فلهذا ناسب قوله عز وجل " وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً " (١١) ، ويقول في موضع آخر " وقوله:

" يهابُ حُمَيَّاهُ الأَلَدُّ المدَاعِسُ "

ويفسر " الألد" فيقول ، فأصله الشديد الخصومة ، يقال : خَصْمٌ ألدُّ ، أي لا ينثني عن خصمه ، قال الله عز وجل : " وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدّاً " [مريم ٩٧] كما قال " بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ " [الزخرف ٥٨] (١٢) .

. ونحوه أيضا . بعد أن أورد قول ابن ميادة لرياحِ بن عثمان بن حيَّان المرِّيِّ . والي المدينةمن قبل أبي جعفر المنصور . ، بعد قتل محمد بن عبد الله بن حسن :

أَمَرْتُكَ يارِيَاحُ بِأَمْرِ حَـزْمٍ فقُلْتَ : هَشِيمَةٌ مِنْ أهلِ نَجْدِ

نَهَيْتُكَ عن رجالٍ منْ قريشٍ على مَحْبُوكَةِ الأَصلابِ جُـرْدِ

يقول المبرد : "وقوله :" فقُلْتَ : هَشِيمَةٌ مِنْ أهلِ نَجْدِ" تأويله ضَعَفَةٌ ، وأصل الهشيم النبت إذا وَلَّى وجفَّ وتكسَّر ، فذَرتْهُ الرياحُ يمينا وشمالا . قال الله عز وجل : " فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ "[الكهف ٤٥] والنجد أعالى الأرص . وعلى هذا النحو وجدنا المبرد يستخدم الشاهد القرآني كثيرا في أكثر مواضع كتابه مفسرا به لفظة ، أو مؤكدا معنى في الأبيات التي أوردها في كتابه الكامل.ونظره عجلى في صفحات الكتاب سوف يقف الناظر على حقيقة ذلك .

---

١١ . الكامل : لأبي العباس المبرد ،ج١ص٣٨ ، دار الفكر العربي بالقاهرة ، تحقيق محمد أبو االفضل إبراهيم ،ب. ت.

١٢ . راجع : الكامل : ج١ص٣٨ .

. ونذكر . أيضا . من هذا النقد اللغوي الذي اتكأ الناقد فيه على الشاهد القرآني في توجيه الشعراء ، نقد أبي عمر بن العلاء (١٥٤هـ) ، عندما سمع رجلا ينشد : [من بحر الطويل الكامل]:

..... " وَمَن يَغْوَ لا يَعْدَم على الغيِّ لائما"

فقال أبو عمر بن العلاء : أقومك أم أتركك تتسكع في طامتك ؟ فقال : بل قومني . فقال : قل : ومن يغوِ (بكسر الواو) . إلا ترى إلى قول الله عز وجل " وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى " [طه :١٢١] ([١٣]).

فمضارع الفعل (يغوي) وند جزمه بالشرط تحذف الياء وتكسر الواو دليلا على حذف الياء)فقد استخدم الشاهد القرآني هنا لإثبات قضية نقدية تتصل بعلم النحو ، تمثلت في حذف حرفالعلة من الفعل واستبداله بالكسرة .

(د) الشاهد القرآني وتحديد العلاقة بين الأدب والدين:

شكلت بعض الشواهد القرآنيه بعض القواعد والأسس الهامة في العملية الأدبية والنقدية ،وحددت العلاقة بين الأدب والدين والأخلاق ، على سبيل المثال : لما نزلت الآية (الشُّعَرَاءَ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ " [الشعراء :٢٢٤] جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهم يبكون ، قالوا: قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء ، فتلى النبي (عليه السلام) : " إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ " قال : (انتم) (وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا) قال:"انتم" (وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا) قال:"انتم" رواه ابن أبي حاتم ، وابن جرير (وهذه أسانيد مرسلة) . فهذه الآية الكريمة كان لها دورٌ كبيرٌ في توجيه نظر النقاد إلى قضية الأدب وعلاقته بالدين والأخلاق .وبينت موقف الدين من الشعر بأنه ليس رافضا له على إطلاقه ،ولا مؤيدا له على إطلاقه ، وإنما هو رافض لنوع خاص منه هو

[١٣] . راجع : طبقات النحويين واللغويين : الزبيدي (ت ٣٧٩هـ) ، ص ٣٥ ، و صدر البيت : فمن يلقَ خيرا يَحْمَدُ الناسُ أمرهُ . ,هو للمرقش الأصغر .

ذلك الشعر الذي يتجافي مع روح الإسلام وتعاليمه، رافضا الشعر الوثني ،القرشي ،الذي يتناول النبي بالهجاء، الشعر الذي يباعد بين العرب ، ويفرق كلمتهم ، ويذكي فيهم روح العصبية بكل أنواعها وآثامها .الشعر الذي يغلب على قلب صاحبه ونفسه حتى يشغله عن دينه .أما الشعر الذي يدعو إلى الفضائل ومكارم الأخلاق ، الشعر الذي يدافع عن الإسلام والانتصار للحق فهو الشعر الذي يرتضيه الإسلام ويدعو إليه.وعلى هذا الأساس راح النقاد الملتزمون يحكمون على الشعر بهذا المقياس النقدي المستقى من الشاهد القرآني .

(هـ) الشاهد القرآني والدراسات النقدية والبلاغية :

. كان للشاهد القرآني أيضا أثر كبير في توضيح كثير من المفاهيم البلاغية والنقدية ومصطلحاتها ، وتحديدها ، ودراستها وتحليلها ، فبعد أن استقرت القواعد النحوية ، قام العلماء بتأليف العديد من الكتب المتخصصة في دراسة ضروب الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم ، فألف الجاحظ ،كتابه: " نظم القرآن " وكذلك فعل أبو بكر عبد الله بن أبي داود الساجستاني . وهو أحد تلاميذ الإمام أحمد بن حنبل ، وألف أبو عبد الله محمد بن يزيد الواسطي كتابا عنونه " إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه "كما ألف في الإعجاز . أيضا . الروماني ، والخطابي ، وأبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، وهذه الكتب جميعا اتخذت من الشاهد القرآني مادة للدراسة ، إذ بحث العلماء فيها عن إعجاز القرآن من أي الوجوه هي ؟ وتنوعت أقوالهم حول هذه القضية وتباينت أحيانا، فبعضها ذهب إلى أن الإعجاز يكمن في البلاغة العالية التي جاء عليها نظم القرآن الكريم ، وبعضها الآخر ذهب إلى أن سببه الصرفة ، وهي صرف الهمم عن معارضة كتاب الله ، وبعضها ذهب إلى أن سببه ما تضمنه الكتاب الحكيم من الأخبار عن أحداث الزمان التي تقع في المستقبل ، أو الإخبار عن أحداث وقعت في الماضي السحيق أو غير ذلك .

. وقد استعمل النقاد والبلاغيون الشاهد القرآني استدلالا و تمثيلا في بعض القضايا النقدية ،وصياغة الفنون البلاغية المتنوعة ، فقد كانوا يوردون القاعدة ، أوالمصطلح النقدي والبلاغي ،ويشرحونها بإيجاز ثم يأتون بالشاهد القرآني وغيره من الشواهد الأخرى،التي تؤكد و تثبت حقيقة ما توصلوا إليه ،

وتوضح مفهومه ([١٤]) . ولا نكاد نصل إلى القرن الخامس الهجري حتى نرى الشاهد القرآني يحظى بسلطة مطلقة في الدراسات النقدية والبلاغية ، فنجد الجرجاني يعتمد اعتمادا كبيرا عليه في البحث في قضية الإعجاز البلاغي ويؤلف فيها كتابيه : " دلائل الإعجاز " و" أسرار البلاغة " ، ثم خرج علينا بنظرية النظم " وأثبت أن إعجاز القرآن الكريم يكمن في نظمه وتأليفه معتمدا على علم النحو وقوانينه.

بل يقطع الجرجاني بأن الشاهد القرآني هو أرقى الشواهد لأنه كلام الله المعجز ، فيقول : " إذا كنا نعلم أن الجهة التي منها قامت الحجة بالقرآن وظهرت ، وبانت وبهرت ، هي أن كان على حدٍّ من الفصاحة تقصرُ عنه قوى البشر ، ومنتهيا إلى الغاية لا يُطمحُ إليها بالفكر ... كان الصادُّ عن ذلك صادًا عن أن تُعْرَف حجةُ الله تعالى " ([١٥])

. كما أسهم الشاهد القرآني في تحديد أطر علوم البلاغة وفصلها عن بعضها البعض عن طريق الدراسات البلاغية التي اعتمدت على دراسة الشواهد القرآنية وتفسيرها ،وتحليلها، للبحث عن أوجه الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم ،وقد كانت هذه العلوم مختلطة مع بعضها البعض تحت اسم البديع ،الذي كان يطلق على علوم البلاغة الثلاثة : علم المعاني والبيان والبديع ، فوضع عبد القادر الجرجاني نظرية علم المعاني في كتابه " دلائل الإعجاز " ونظرية علم البيان في كتابه " أسرار البلاغة ".

---

[١٤]. راجع : كتب النقد والبلاغة أمثال :كتاب البديع لأبن المعتز ، والصناعتين لأبي هلال العسكري ، والعمدة لابن رشيق القيرواني ، ودلائل الإعجاز للجرجاني وغيرها .

[١٥]. راجع : دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) ،ص :٨-٩. ط٣ ، دار المدني بجدة ، تعليق محمو محمد شاكر ، سنة ١٩٩٢م.

ثانيا . الشاهد القرآني والأدب:

١ . الشاهد القرآني والإبداع الشعري:

وجدنا في مجال الإبداع الشعري الشعراء يتكئون . أحيانا . على الشاهد القرآني للدفاع عن صحة المعاني التي ضمنوها في ابداعاتهم ،على نحو ما فعله الأسود الدؤلي (٦٩هـ) مع بني قشير عندما عابوا أبياته التي قال فيها : [بحر الوافر التام] :

يقــولُ الأرزلون بنو قشَـــيْر طـوالَ الدهـر لا تنسي عليًّا

فقلتُ لهـم : وكيـفَ يكـونُ تركي من الأعمـــال ما يُقْضِـي عليًّا

أحِـــــبُّ محمـــداً حُباً شديداً وعبَّاســـاً وحمــزة والوصيا

أُحبـهـــــــم لحُب الله حتى أجيءَ إذا بُعثـت على هويّـــا

هــوىً أعطيته منذ استـــــدارت رحـى الإســلام لم يعدل ســويا

ومـا أنســى الذي لاقـــى حسينُ ولاحســـنٌ بأهـونـــهم عليًّـا

بنـــو عـــم النبَّـِي وأقربـــوه . أحـــبُّ النـاس كلهم إلـيًّـا

فإن يـــكُ حبهم رُشْـدًا أصـــبهُ وفيهـــم أســـوة إن كان غيًّـا

. فقالوا له عندما سمعوا هذه الأبيات : أشككت يا أبا الأسود بقولك " فإن يك حبهم " ؟ فقال : أما سمعتم قول الله تعالى : (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ) [سبأ :٢٤] أفترون الله شك؟! "([١٦]).

فقد دفع أبو الأسود الدؤلي التهمة عن شعره باستخدامه الشاهد القرآني دليلا قويا على صحة قوله .

---

[١٦]- انظر : أمالي المرتضى ، غرر الفوائد ودرر القلائد ،للشريف المرتضي(ت٤٠٦هـ): ج١ ص ٢٩٣، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١ ، دار الكتاب العربي بيروت ١٩٦٧م. والأبيات في ديوان أبي الأسود الدؤلي ، صنعة أبي سعيد الحسن السكري : ١٢٠ ،تحقيق محمد حسن آلياسين ، ط١ ، بيروت ، ١٩٧٤م.

. نذكر من ذلك . أيضا . استدلال الشاعر عبيد الله بن قيس الرقيات ، بالشاهد القرآني على صحة قوله ، عندما عاب الخليفة عبد الملك بن مروان قوله :

إن الحوادثَ بالمدينةِ قد أوجَعنني وَقرعنَ مَروتَيه

وجببنني جَبَّ السَنامِ فلم يترُكنَ ريشًا في مَناكِبيه

فقال عبد الملك بن مروان له : " أحسنت إلا أنك تخنَّثت في قوافيك . قال ابن قيس الرقيات : ما عدوت قول الله (عز وجل) " مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ، هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ " الحاقة ٢٨-٢٩] ([١٧]).

. الشاهد القرآني والإيماء :

وقد يوظف الأديب الشاهد القرآني في تأكيد معنى من المعاني ،ولكنه لا يأتي به صراحة ، وإنما يستخدم الإيماء إليه ،فيكون هذا الإيماء كافيا عند ذوي الألباب عن التصريح به ، ومغنيا عن كشفه ،على ما نحو ما نجده عند الشاعر الفرزدق في بعض أبيات هجائه لجرير عندما قال :

ضَرَبَتْ عليكَ العنْكَبُوتُ بِنَسْجِهَا وقضَى عليك به الكتابُ المُنْزَلُ

وصف الفرزدق بيت جرير في العرب كالبيت الواهن الضعيف ، وأكد حقيقة ما ادعاه ، فقال وقضى عليك به الكتاب المنزل: يريد الشاهد القرآني ، وهو قول الله تبارك وتعالى " مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ " [النكبوت ٤١] .

. وعلى نحو ما جاء في شعر أبي تمام وقد استخدم الشاهد القرآني درعا حصينا يدافع به عن صحة وصفه،و معاني مديحه لأحمد بن المعتصم ، في قوله [من بحر الكامل] :

---

[١٧]. راجع : الشعر والشعراء: لمحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ) ج٢ص١٦ ،تحقيق أحمد محمد شاكر ، ط٢ ، دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٦٦م.] والبيتان في الديوان ص١١١.

إِقْدَامَ عَمْرٍو في سَماحَةِ حَاتِمٍ في حِلْمِ أَحْنَفَ في ذَكَاءِ إِيَاسِ

فقال له الكندي : إن الأمير فوق ما وصفت ، ولم تزد على أن شبهته بأجلاف العرب " فأطرق أبو تمام قليلاً ثم أرسل قذيفته القاصمة فقال :

لاَ تُنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دُونَهَ مثَلاً شَرُوداً في النَّدَى وَالبَاسِ

فالله قد ضَرَبَ الأَقَلَّ لِنُــورِه مَثَلاً منَ المِشْكَـاةِ وَالنِّبْرَاسِ (١٨)

فوجدنا أبو تمام يحتج لرأيه ، ويدافع عن شعره وعن المعاني التي أوردها في مدح ابن المعتصم ، مستندا على الشاهد القرآني ، ولكنه لم يذكره صراحة بل ضمنه في شعره ، وهو قوله تعالى :" اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ "[سورة النور :٣٥]"

ولهول الصدمة على النقاد وشدة وقعها فقد أخذ أبو يوسف الكندي الفيلسوف ــ وكان من المشاركين في النقد ــ الرقعة ولم يجد فيها هذا الرد المفحم فقال متفرساً : " إن هذا الرجل لن يعيش طويلاً " ؛ وصدقت فراسته حين توفي أبو تمام عن ثلاث وأربعين سنة "

. بل وجدنا الشاعر أحيانا يتكئُ . أيضا . بالإيماء على الشاهد القرآني لتبرير فكرته ولا سيما إذا كانت مخالفة للقيم الأخلاقية ،أو الدفاع عن مذهبه الفني المنحرف ، على نحو ما نجده عند أبي نواس وتبريره لميله المنحرف للغمان وإكثاره من التغزل بالمذكر فقال :

بذا أوصَى كتابُ اللهِ فينا بتفْضِيل البنينَ على البناتِ (١٩)

---

١٨ . راجع : أمالي المرتضى ، غرر الفوائد ودرر القلائد ، الشريف الرضي (ت٤٠٦هـ): ج١ ص٢٩٠ ،د. دار الكتاب العربي بيروت ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،١٩٦٧م. والأبيات في ديوان الشاعر أبي تمام ، بشرح الخطيب التبريزي ،٢ص٢٤٩-٢٥٠ ،تحقيق محمد عبده عزام ط٣،شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت ،١٩٩٧م. والبيت الأول ورد برواية مختلفة .

19. راجع ديوان أبي نواس ، ج ١ ص١٨ .

وهذه مغالطة كبيرة واضحة ، إذ اعتمد على الشاهد القرآني في الدفاع عن ميله للغلمان والتغزل بهم، حيث ألف ديوانا كاملا في الغزل بالمذكر.فهو يستشهد بالآية القرآنية : " وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ "[سورة النحل: ٥٧] ، وقوله تعالى : " فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ أَلا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ .."[الصافات:١٤٨] .

٢. الشاهد القرآني والنثر الفني :

شغل الشاهد القرآني حيزا كبيرا في الفنون الأدبية النثرية على اختلاف أنواعها منذ بداية العصر الإسلامي حتى العصر الحديث ، وفي كتب التراث الكثير من الشواهد القرآنية التي قصدها الأدباء في إبداعاتهم المختلفة مستشهدين ومحتجين بها على صحة ما أوردوه في إبداعاتهم من أفكار أو معانٍ، و أطروحات مختلفة . نجد ذلك بين ثنايا الخطب ، والرسائل ، وفن المقامات ، والتوقيعات ، وأدب القصة ..إلخ .ولما كان المقام لا يتسع للحديث عنها كلها ،فقتصرناه على نماذج منها في بعض الفنون:

. الشاهد القرآني وفن التوقيعات :

استخدم بعض ولاة الأمر والنهي من الخلفاء والوزراء والكتاب على مر العصور المختلفة الشاهد القرآني في بعض توقيعاتهم على الرسائل التي كانت ترسل إليهم ،لما فيه من قوة الحجة ، وروعة الإيجاز ، وقوة التعبير ، وجمال العبارة ، وحسن الصورة ،ولطف الإشارة ، التي يتطلبها فن التوقيع .ونذكر من هذه التوقيعات في العصر الأموي : . كتب مسلم بن عقبة المري إلى يزيد بن معاوية (٦٠هـ- ٦٤هـ)، بما فعله بأهل المدينة في واقعة الحرة ، فوقَّع في أسفل الكتاب بقوله: " فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ".[الأنعام]

. وكتب قتيبة بن مسلم إلى سليمان بن عبد الملك (٩٦هـ- ٩٩هـ)، يتهدده بالخلع، فوقَّع سليمان بقوله: "والعاقبة للمتقين".

. وفي العصر العباسي وقع الخليفة المهدي محمد أبو عبد الله العباسي(١٥٨هـ- ١٦٩هـ) ، في قصة رجل ، حبس في دم : " وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ " [المائدة]" .

فهذا التوقيع في قمة البلاغة والفصاحة ، والحجة القاطعة،لأنه اتكأ فيه الخليفة المهدي على الشاهد القرآني ، فمن أباح دم الناس واستحل حرماتهم أباح الله دمه واستحق القصاص، لأن في القصاص حياة المجتمعات الإسلامية التي تنعم بالأمن والاستقرار، بل إن هذا الحكم الإلهي لا يدركه إلا أولي الألباب وهم أصحاب العقول الكبيرة الذين يتدبرون في هذا القصاص منع لتسرب الجريمة وإفشائها، وبالتالي فإن هذا القصاص هو حياة الآمنين في المجتمعات السلمية . فجاء توقيع المهدي بالشاهد القرآني ليؤكد حقيقة ما أراد . ويقطع الطعن في حكمه ، ويوصد أمام الجميع أبواب الشفاعة في هذا السجين ، لأن هذا التوقيع ، هو توقيع رب العال في هذه الواقعة .

. وبعث إلى الخليفة المهدي أيضاً عامله بأرمينيا يشكو له سوء طاعة الرعية، فوقَّع إليه بقوله: " خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ".والعرف هو: المعروف، والجاهلين: المعتدين، والمراد هنا: السفهاء والحمقى.والمهدي يأمر عامله بأن يأمر بالمعروف، ويعفو عن أصحاب الهفوات، ويتجنب السفهاء والحمقى قدر الإمكان. فهذا الإيجاز وإن كان اقتباس من القرآن الكريم إلا أنه يضع الحلول للمسائل التي شكى منها عامل أرمينياً، وهي باختصار شديد بين به المهدي أن سوء ما شكى به حاكم أرمينيا سببه حرفية الحكم وحيفه بتطبيق النظام وعدم المرونة في تيسير دفة الحكم، وهذا أصبح علماً بذاته، ومهما اجتهد بهذا العلم تبقى هناك أمور كأنها قواعد أخلاقية لإدارة هذه الشعوب .

. الشاهد القرآني الرسائل الأدبية :

ونذكر مثالا من الشواهد القرآنية في فن الرسائل الأدبية . ، وهو من رسالة " الحاسد والمحسود" للجاحظ (ت ٢٥٥هـ):والتي تمثل النثر الفنى في عصر الجاحظ أصدق تمثيل ، في بلاغته وجماله وتمشيه مع الحضارة العقلية والفكرية والأدبية التي سادت في الأدب والثقافة آنذاك . وقد بين الجاحظ في رسالته ضرر الحاسد ،ونفر منه ، وأظهر خفاياه، وكشف نفسية صاحبه كشفا ،وهو في ذلك يتكئ على

الشاهد القرآني في رسالته ثلاث مرات كدليل ساطع ، قاطع ، على حقيقة ما يقول حتى لا يتطرق إلى كلامه شك:

. الأولى . في قوله : " قال بعض الناس لجلسائه : أي الناس أقل غفلة ، فقال بعضهم : " صاحب ليل ، إنما همه أن يصبح " فقال : إنه لكذا ، وليس كذاك " فقالوا له :" فأخبرنا بأقل الناس غفلة " ، فقال :" الحاسد ، إنما همه أن ينزع الله منك النعمة التى أعطاكها ، فلا يغفل أبدًا ".ويروى عن الحسن أنه قال : " الحسد أسرع في الدين من النار في الحطب اليابس ، وما أتى المحسود من حاسده إلا من قبل فضل الله عنده ، ونعمته عليه "

ثم يأتي بالشاهد القرآني كحجة لاترد، ليؤكد بها حقيقة ما يقول ، ويرسخه في القلوب والنفوس والعقول ، فيقول : قال عز وجل : " أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً " [النساء : ٥٤] ." والثانية . في قوله : " والحسد عقيدة الكفر ، وحليف الباطل ، وضد الحق ، وحرب البيان" ثم يؤكد ذلك بالشاهد فيقول : " فقد ذم الله أهل الكتاب به فقال : " وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًّا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ " [البقرة : ١٠٩] ".والمرة الثالثة . جاء بالشاهد القرآني ليؤرخ لظاهرة الحسد ، فقال : "والحسد . رحمك الله . أول خطيئة ظهرت في السماوات ، وأول معصية حدثت في الأرض . خص به أفضل الملائكة فعصى ربه ، وقايسه في خلقه ، واستكبر عليه فقال : " خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ " [الأعراف : ١٢] فلعنه وجعله إبليسا ، وأنزله من جواره بعد أن كان أنيسا ..." ([20]).

. الشاهد القرآني والنوادر:

[20] . راجع: كتاب الرسائل : للجاحظ،ح١ ، ص ١٦٥ .

استخدم الأدباء الشاهد القرآني الجاد في النادرة بوصفها جنسا أدبيا قائما على الهزل والإضحاك ،نذكر من ذلك ما جاء في أدب الجاحظ ، فقد خصص الجاحظ في كتابيه " الحيوان " والبخلاء" أحد فصوله للنوادر الهزليّة ، يوردها في ثنايا مباحثه الجادة، على نحو ما نجدة في الجزء الثالث من كتاب الحيوان ،وقد وظف الجاحظ الشاهد القرآني توظيفا جيدا ، اعتمد فيه على أربع طرائق مختلفة أفصح فيها عن جملة من الاقتناعات الكلامية والفكرية والفنية : فتارة نجده ينقل الشاهد القرآني من الحقيقة إلى المجاز ، وأخرى ينقل الشاهد من المجاز إلى الحقيقة ، وثالثة يصرف الشاهد إلى نقيض مدلوله ، ورابعة يقارع الشاهد بالشاهد. ([21]) .

الشاهد القرآني والمناظرات :

استخدم كل من عبد الله ابن عباس ، والخوارج الشاهد القرآني في قصة المناظرة التي تمت بينهما ، كدليل على صحة ما يقول كلاهما ،والقصة موجودة في مستدرك الحاكم وغيره، وقد وجه ابن عباس الحديث وساق الحجج بشكل رائع مبهر متكئا على الشاهد القرآني بحنكة وفهم عميق له ، وقوة في توظيفه في إقناع خصمه ، وليس هذا غريبا عنه فهو " ترجمان القرآن " فقد دعى له الحبيب المصطفى (صلى الله عليه وسلم) بأن يفقهه في الدين ويعلمه التأويل . ونذكر من هذه المناظرة :قال ابن عباس : فخرجت إليهم (أي الخوارج) و لبست أحسن ما يكون من حلل اليمن. قال أبو زميل : كان ابن عباس جميلا جهيرا . قال ابن عباس : فأتيتهم و هم مجتمعون في دارهم قائلون فسلمت عليهم .فقالوا : مرحبا بك يا ابن عباس فما هذه الحله ؟قال قلت : ما تعيبون عليَّ لقد رأيت رسول الله (صلى الله عليه و سلم) أحسن ما يكون من الحلل ، و نزلت : " قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ" [الأعراف: ٣٢] قالوا : فما جاء بك ؟ قلت : أتيتكم من عند صحابة النبي (صلى الله عليه و سلم) من المهاجرين و الأنصار لأبلغكم بما يقولون فعليهم نزل القرآن و هم أعلم بالوحي منكم وفيهم أنزل وليس فيكم منهم أحد . فقال بعضهم : لا تخاصموا قريشا فإن الله يقول : " بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ

[21]– راجع : الشاهد الديني في سياق الأدب (سياق التنزيل وبلاغة التحويل) : بحث عبد الله البهلول ،ص٤ وما بعدها ، بمجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقيروان ،تنونس .

" [الزخرف: ٥٨]. قال ابن عباس : وماأتيت قوما قط أشد اجتهادا منهم ، مسهمة وجوههم من السهر كأن أيديهم وركبهم تثني عليهم فمضى من حضر . فقال بعضهم : لنكلمنه و لننظرن ما يقول . قلت : أخبروني ماذا نقمتم على ابن عم رسول الله (صلى الله عليه و سلم) وصهره والمهاجرين والأنصار ؟ قالوا : ثلاثا ! قلت : ما هن ؟ قالوا : أما إحداهن فإنه حَكَّمَ الرجالَ في أمر الله ،وقال الله تعالى: "إِنِ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ " [الأنعام آية:٥٧]، وما للرجال وما للحكم . فقلت : هذه واحدة . قالوا : و أما الأخرى . فإنه قاتل و لم يسب ولم يغنم ،فلئن كان الذي قاتل كفارا لقد حل سبيهم و غنيمتهم و لئن كانوا مؤمنين ما حل قتالهم؟ قلت:هذه اثنتان فما الثالثة ؟ قال:إنه محا نفسه من أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين .قلت:أعندكم سوى هذا ؟ قالوا :حسبنا هذا . فقلت لهم : أرأيتم أن قرأت عليكم من كتاب الله و من سنة نبيه (صلى الله عليه و سلم) ما يرد به قولكم أترضون؟ قالوا : نعم .

فقلت : أما قولكم حكَّم الرجال في أمر الله، فأنا عليكم ما قد رد حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم في أرنب و نحوها من الصيد فقال : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ " (المائدة آية: ٩٥)، إِلَى قَوْلِهِ: يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ" (المائدة آية ٩٥)، فنشدتكم الله أحكم الرجال في أرنب و نحوها من الصيد أفضل أم حكمهم في دمائهم و صلاح ذات بينهم؟ و أن تعلموا أن الله لو شاء لحكم و لم يصير ذلك إلى الرجال . وفي المرأة و زوجها قال الله عز و جل: "وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنَهُمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا" [النساء آية ٣٥]، فجعل الله حكم الرجال سنة مأمونة، أخرجت عن هذه؟ قالوا : نعم. قال : و أما قولكم : قاتل و لم يسب و لم يغنم؛ أتسبون أمكم عائشة ثم يستحلون منها ما يستحل من غيرها، فلئن فعلتم لقد كفرتم و هي أمكم و لئن قلتم ليست أمنا لقد كفرتم فإن كفرتم فإن الله يقول : " النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ" [الأحزاب آية ٦] فأنتم تدورون بين ضلالتين أيهما صرتم إليها صرتم إلى ضلالة .فنظر بعضهم إلى بعض قلت : أخرجت من هذه ؟ قالوا : نعم. و أما قولكم : محا اسمه من أمير المؤمنين فأنا أتيكم بمن ترضون ورأيكم قد سمعتم أن النبي (صلى الله عليه و سلم) يوم الحديبية كاتب سهيل بن عمرو و أبا سفيان بن حرب فقال رسول الله (صلى الله عليه و سلم) لأمير المؤمنين : أكتب يا علي هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله فقال المشركون : لا و الله ما نعلم أنك رسول الله لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك . فقال رسول الله (صلى الله عليه و سلم) : اللهم إنك تعلم أني رسول الله ،أكتب يا علي هذا ما اصطلح عليه

محمد بن عبد الله ، فو الله لرسول الله خير من علي و ما أخرجه من النبوة حين محا نفسه . قال عبد الله بن عباس : فرجع من القوم ألفان و قتل سائرهم على ضلالة ([٢٢]) .

. فقد اتكأ ابن عباس (رضي الله عنه) على الشاهد القرآني الباهر المعجز في مناظرته مع الخوارج كشاهد قوي ساطع على صحة ما يقول، أخرص الخوارج ، وقطع به لسان حجتهم ، وما كاد ينتهي النقاش بينهم حتى نهض منهم ألفان، معلنين اقتناعهم، ومعلنين خروجهم من خصومة الامام عليّ (كرم الله وجهه) .

([٢٢]) أخرجه عبدالرزاق في المصنف (١٠/١٥٠، تحت رقم ١٨٦٧٨)، والنسائي، في السنن الكبرى، كتاب الخصائص، باب ذكر مناظرة عبدالله بن عباس الحرورية، واحتجاجه فيما أنكروه على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (7/479)، حديث رقم (٨٥٢٢)، والطبراني (١٠/٢٥٧، تحت رقم ١٠٥٩٨)، والحاكم في المستدرك (٢/٤٩٤، تحت رقم ٢٧٠٣، علوش)، وأبونعيم في الحلية (١/٣١٩)، والبيهقي (٨/١٧٩). وأخرج قطعة منه (قصة الحديبية) أحمد في المسند (الرسالة ٥/٢٦٢، تحت رقم ٣١٨٧). والحديث صححه الحاكم، وقال: " صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه"اهـ، وقال الذهبي قي التلخيص : "على شرط مسلم"اهـ، وحسن إسناد أحمد محققوا المسند.

الخاتمة

. يعد الشاهد القرآني من أبلغ الشواهد ، وأرقاها ، وأعلاها فصاحةً وبلاغةً وبيانًا ، وأوثق النصوص التي عرفتها العربية على الإطلاق ، لذا برزت أهميته في مجال العلوم العربية والإسلامية المختلفة من : لغة ونحو وأدب وبلاغة ونقد وغيرها . فهو فيض من القرآن الكريم الذي جاء بلغة العرب ،وخاطبهم بها، وجرى على أساليبهم وتحداهم فيها،فعجزو أن يأتو بمثله ،وظل حجة عليهم إلى أبد الآبدين. وبعد .، فقد أفصح البحث عن مفهوم الشاهد القرآني في الدراسات الأدبية والنقدية ، كما تناول أهميته ووظيفته في هذه الدراسات،وأشار إلى أنه كان أقل استشهادا به في الدراسات اللغوية والأدبية والبلاغية والنقدية ، من الشعر العربي القديم ، وذكر الأسباب الدافعة إلى ذلك ، كما بين البحث أن ابن سلام الجمحى هو أول ناقد استخدم الشاهد القرآني في مؤلفه النقدي : " طبقات فحول الشعراء "كحجة قوية على صحة ما ذهب إليه في نقد النصوص التي أوردها في كتابه. وبين البحث ملامح الشاهد القرآني وأثره في النقد ،وأثبت أن النقاد الأوائل اعتمدوا على الشاهد القرآني في تقويم العمل الفني ،وفي وضع بعض المعايير النقدية للحكم على العمل الأدبي بشقيه الشعري والنثري .فقد كان له حضور قوي في نقد الشعر وتقويمه فنيا ،والحكم على جودة الصوة الشعرية أو رداءتها ، وفي توجيه الشاعر إلى تحري الدقة في اختيار الألفاظ المناسبة للمعانى التي يرمي إليها في إبداعه . وكذا في تفسير المفردة الشعرية الغامضة التي ترد في قصائد الشعراء على نحو ما فعله أبو العباس محمد بن يزيد المبرد(ت ٢٨٥هـ) في كتابه الكامل، فقد استخدم الشاهد القرآني في مواضع كثيرة منه ، دليلا على تفسير بعض الكلمات الغريبة ،والغامضة. وقد بلغت الشواهد القرآنية المستشهد بها على معاني المفردات المعجمية في كتابه هذا نحو مائة وأربعا وعشرين مفردة . كما بين البحث أن بعض الشواهد القرآنيه شكلت بعض القواعد والأسس الهامة في العملية الأدبية والنقدية ،كتحديد العلاقة القائمة بين الأدب والدين والأخلاق .وتوضيح كثير من المفاهيم البلاغية والنقدية ومصطلحاتها ، وتحديدها ، ودراستها وتحليلها ، كما أسهم الشاهد القرآني في تحديد أطر علوم البلاغة وفصلها عن بعضها البعض عن طريق

الدراسات البلاغية التي اعتمدت على دراسة الشواهد القرآنية وتفسيرها ،وتحليلها، للبحث عن أوجه الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم.وتحدث البحث عن الشاهد القرآني وأثره في الأدب:فأثبت البحث أن الشعراء كانوا يتكئون ـ أحيانا ـ على الشاهد القرآني للدفاع عن صحة المعاني التي ضمنوها في إبداعهم الشعري .، وتبرير أفكارهم ولا سيما إذا كانت مخالفة للقيم الأخلاقية ،أو الدفاع عن مذاهبهم الفنية التي تصتدم بالدين، على نحو ما نجده عند أبي نواس في بعض أشعاره. كما شغل الشاهد القرآني حيزا كبيرا في الفنون الأدبية النثرية على اختلاف أنواعها منذ بداية العصر الإسلامي حتى العصر الحديث ، وفي كتب التراث الكثير من الشواهد القرآنية التي قصدها الأدباء في إبداعاتهم المختلفة مستشهدين ومحتجين بها على صحة ما أوردوه في إبداعاتهم من أفكار أو معانٍ، و أطروحات مختلفة . نجد ذلك بين ثنايا الخطب ، والرسائل ، وفن المقامات ، والتوقيعات ، وأدب القصة ..إلخ .ولما كان المقام لا يتسع للحديث عنها كلها ،فاقتصر البحث على نماذج منها في بعض الفنون الأدبية النثرية .

أهم المصادر والمراجع :

- أمالي المرتضى ، غرر الفوائد ودرر القلائد ،للشريف المرتضي(ت٤٠٦هـ): ج١ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١ ، دار الكتاب العربي بيروت ١٩٦٧م.
- ابن الخشاب (حياته ونحوه) : الدكتور عبود الساهي ، مطبعة الجامعة .

. دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) ، ط٣ ، دار المدني بجدة ، تعليق محمو محمد شاكر ، سنة ١٩٩٢م.

. ديوان أبي نواس : شرحه وقدم له ، د عمر فاروق الطباع ، ط١ ،دار الأرقم ،بيروت ، ١٩٩٨م.

- الرسائل : للجاحظ،(أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ) ، تحقيق عبد السلام هارون ،ط١، الخانجي بالقاهرة ، ١٩٧٩م .

. الرواية والاستشهاد في اللغة :دكتور محمد عيد ، طبعة عالم الكتب بمصر ،١٩٧٢م. .

. الشاهد الديني في سياق الأدب (سياق التنزيل وبلاغة التحويل) : بحث عبد الله البهلول ، بمجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقيروان ،تنونس .

. الشاهد في النقد العربي القديم إلى نهاية القرن السابع الهجري " دراسة وصفية " علاء مهدي عبد الجواد النفاخ (رسالة ماجستير) بكلية الآداب جامعة الكوفة

. الشعر والشعراء: لمحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ) ج٢ ،تحقيق أحمد محمد شاكر ، ط٢ ، دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٦٦م .

– طبقات فحول الشعراء : محمد بن سلام الجمحي (ت٢٣١هـ) :ج١. طبعة مكتبة المدني بالقاهرة ، تحقيق محمود محمد شاكر، سنة ١٩٩٢م .

. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، ليحيى بن حمزة بن علي العلوي اليمني (ت٧٤٩هـ) طبعة ١ ، دار المكتبة العلمية بلبنان ، سنة ١٩٩٥م .

. الكامل : لأبي العباس المبرد ،ج١، دار الفكر العربي بالقاهرة ، تحقيق محمد أبو االفضل إبراهيم ،ب. ت.

. اللغة العربية ، أصولها النفسية وطرق تدريسها ، د عبد العزيز عبد المجيد ،ط١ ، دار المعارف بمصر (ب.ت).

. الموازنة بين أبي تمام والبحتري : أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (٣٧٠هـ) ، تحق. السيدأحمد صقر ، ط٤ ، دار المعارف يالقاهرة ، ١٩٩٩٠م .

ـ نهاية الأرب في فنون الأدب ، للنويري ، السفر السابع، الباب الرابع عشر ، طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، سنة ١٩٢٩م .